

الفولكلور واثره في المحافظة على الشخصية القومية للشعب العربي الفلسطيني

هذا الشعب في ظروف مخطط امبريالي صهيوني عنيف وشرس . وهكذا كان واضحا ان من الترتب على امة العرب الاخذ بيد الشعب العربي الفلسطيني ليستجمع مقدراته على احياء تراثه الشعبي والابقاء على معالمه ، وهذا يتدرج في مجالات خطة التحرير والعودة ، وذلك ما دعنا نعترف بان ميراث الشعب هو من القوى الدافعة للابقاء عليه ، ومهمة العربي والعربي الفلسطيني مزدوجة بهذا الشأن . فالحفاظ على التراث هو جانب هام والرد على المخطط الصهيوني الذي يستهدف محو هذا التراث هو جانب هام اخر ، والجانبان كلاهما في دائرة المحافظة على الشخصية القومية للشعب العربي الفلسطيني .

ويقوم مخطط العدو الصهيوني اساسا على تهديد الوطن المحتل ، فكما يسمي العدو الامة العربية وبعو امجادها وتراثها الى المقدسات ويعتدي على حرمتها فيحولها الى معابد يهودية ويحفر من حولها لازالة معالمها العربية ، فانه يتغفل الى اعماق التراث الشعبي العربي الفلسطيني فيطمس ما يستطيع طمسه منه ، ويدعي لنفسه ما يمكن ان يدعيه منه ، ويباعد بين الشعب وارضه ام التراث ، ويحاول ان يقلل من تماسك الاسرة والمجتمع الفلسطيني اساس هذا التراث وقوامه . ولكن العدو يفشل فيما يخطط ويؤد بالخسران في عدوانه وتقهيره عزيمة شعب خلاق عنيد اشتهر بصموده وعرف بديناميكيته ، فالهجرة من الوطن والتشريد عن الارض لم تفلح كلها من النيل من تهسك الفلسطيني ببدا العودة ، ولم تنجح في تفكيك المجتمع الفلسطيني او محو السمة الفلسطينية من الاسرة الفلسطينية ، وعلى العكس تماما فقد ظل الفلسطينيون فلسطينيين في كل بلد يقيمون فيه ، يميزهم ظابعهم الذي لا يمكن ان تمحوه الايام .

ان العدو الصهيوني في عدوانه على الارث الشعبي الفلسطيني يسير في خطين : الخط الاول خاص بالتراث اليهودي القديم ، والخط الثاني خاص بما يدعيه العدو تراثا صهيونيا حديثا يمكن حضارة كيانه المسمى اسرائيل .

وفي مجال الخط الاول يدعي العدو ان حضارة اليهود او العبرانيين القدامى هي مرتكز كل الحضارات التي ظهرت في فلسطين ، وكل ما عداها يذوب فيها ، وفي الاطار الثاني تظهر فروق العدو الفولكلورية في اوروبا بالزري الشعبي العربي الفلسطيني ممعية انها

قبل تناول هذا الموضوع بالبحث المستفيض ، لا بد من الاشارة السريعة الى بعض متعلقات الشخصية القومية الفلسطينية ، او الى بعض متعلقات الفولكلور نفسه .

من الناحية الاولى ، لا بد من النظر الى طبيعة ما اصاب الشعب العربي الفلسطيني من هزات اجتماعية قلعت حجما كبيرا منه وحاولت غرسه في ارض غير ارضه منذ عام 1948 ، ولكنها ارتطمت بقدره هذا الشعب العجيبة على الصمود والبقاء ، وعلى هذه القدرة المتينة في الابقاء على السمات الاجتماعية لشخصيته ومواصفات هذه الشخصية .

ومن الناحية الثانية فان الحس باليراث الشعبي الفلسطيني يختلف عن الحس باليراث الشعبي لاية امة اخرى لم تنكب في وطنها ولم تحرم من ارضها ، فالشعوب المستقرة تعثر في بلادها على دوائر الفنون الشعبية ، وفي جامعاتها كراس ومراكز للفولكلور ، وفي الساحات وشوارع الملاهي تؤشر الياضات المتلألئة الانوار على مسارج التمثيل الشعبي ومسارج العرايس ، كما تؤشر على فرقة الرقص الشعبي والمعارض الجماعية والفردية للفنون الشعبية التشكيلية ، وفي المحلات التجارية الكبرى اجنحة خاصة للطرائف الشعبية ، وهناك محلات خاصة اخرى تباع هذه الطرائف ، هذا بالإضافة الى الصحف والمجلات والكتب والنشرات المختصة بالتراث الشعبي التي اصبحت لونا من غذاء الفكر لا يستغنى عنه . وفي هذا المجال الثقافي الخصيب تتقدم برامج الاذاعة والتلفزيون فتغطي اهتماماتها قطاعات الفنون الشعبية القولية والحركية والتشكيلية ، بما تعرضه من برامج ولقاءات واحاديث ولقطات ، واصبحت متعة ما بعدها من متعة ان يضع المرء في برنامجه ، وهو في مدينة عامرة ، زيارة ما يسمى عادة بالمتحف الفولكلوري فيها ليشاهد مفروضات شعبية في مجموعة غرف وساحات واركبان تنطق بما يمثل روح اهلها ويكشف عن جوهرهم الانساني ، هذا بما يمكن حسه عن الفولكلور لدى شعب مستقر على ارضه ، ولكن الحس بالفولكلور الفلسطيني يختلف كل الاختلاف ، فنحن نساق الى حيث الافراد الفلسطينيون والى حيث التجمعات الفلسطينية لتقتص ميراث هذا الشعب ، وذلك منذ ان حاولت الرياح العنيفة اقتلاع التجمعات الفلسطينية حتى بعد هجرة او هجرتين او اكثر قاسية اشد النسوة فرضت على افراد

لون اسرائيلي كما تحمل كتب ونشرات الفولكلور الصهيونية المزيفة كل ما يندرج من سمات فولكلورية للمزارات والاثار العربية في فلسطين المحتلة مدعية انها اسرائيلية بحتة .

وفيما يختص بالخط الصهيوني الاول المتعلق بالتراث اليهودي القديم فلا بد من ذكر ملاحظتين :

اولا : ان العهد القديم من الكتاب المقدس قد روى قصص الميرانيين جنبا الى جنب قصص الكنعانيين العرب كما في سفر الزامير ، او سفر التكوين ، وسفر الملوك ، وسفر الايام .. الخ ، وقد نقل اليهود الترائين مختلطين فيما سموه (تراث اليهود) اي ان اليهود خلطوا من خلال هذا المنطق بين الترائين اليهودي والكنعاني الفلسطيني ، محاولين اعتبار التراث الكنعاني جزءا من تراثهم ، وهذا لا مبرر علميا له والعكس يمكن ان يكون له مبرر ، اذ ان الكنعانيين كانوا في ارض كنعان قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد اما الميرانيون اليهود فقد عبروا ارض كنعان بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

ثانيا : ان تصارب بعض الاسماء التي وردت في الاساطير الكنعانية والبرانية اوجد مجالا لمحاولة من جانب الصهيونيين تهدف الى امتصاص الكلمات الكنعانية من الارث الاسطوري لمجرد تشابه هذه الكلمات مع الكلمات العبرية ، وبالتالي محاولة امتصاص الاساطير الكنعانية للايهام بان كل تراث فلسطين القديم انما هو تراث يهودي ، ونحن مطالبون عربيا وفلسطينيا بتعطيم هذه الالكوبة الكبرى عن طريق الكشف عن الحقائق .

وفيما يختص بالخط الصهيوني الثاني المتعلق بتهود الفولكلور الفلسطيني ومحاولة صرف الاهتمام الفلسطيني عن التراث فسان الصهيونيين فد اتاحت لهم ، وقد احتلوا الوطن الفلسطيني بأكمله ، التعرف على صناعة الازياء والملابس الفلسطينية العربية كالفساتان اندي ينمي الى بيت لحم او بيت جالا او رام الله او الجبل او عكا او بيت صفاة او غيرها من مدن وهري فلسطين ، في خيوطه او زينة حياته وتطريزه . وعلى سبيل المثال فانهم على علم بان ازياء بيت لحم ذهبية الخيط ومطرزه على طريقة اللف وان يظلم على التطريز التلحمي خزة انصليب اي يكون التطريز على هيئة صلبان منذ اجيال عديدة ، ومع انه هو طابع مميز لما تصنعه المرأة التلحمية بيديها الا ان تقليد ذلك ليس معجزة كما ان الحصول عليه بالذات من صنع تلحمي في الوطن المحتل ليس معجزة ايضا . وما ينطق على الثوب التلحمي ينطق ايضا على الثوب الجدلوي . وكذلك فان انصهانة ضمن مسج الاثار والمآثورات الشمسية الفلسطينية كالمزارات بانواعها المختلفة ضمن رصد الفنون الشعبية الفلسطينية كالرقص الشعبي والالغان الشعبية عمدوا الى سرقة هذه الفنون لتسريبها الى فرق فنون شعبية اسرائيلية استعراضية يعرض فنونها في اوربا وامريكا ، وذلك بهدف السطو على المخلفات الفلسطينية او الاساءة الى بعضها وطمس الاخر او تشويهه او النيل منه .

وازاء هذا كله لا بد من فضح المحاولات الصهيونية اعلاميا في الخارج ضمن خطة اعلام عربية وفلسطينية ، واشرالك السلول الصديقة في عملية الكشف اولا باول عن الحقيقة والضرب على يد العدو في كل محاولة سرقة او تشويه او طمس للتراث العربي الفلسطيني ، ومن ناحية اخرى لا بد من خطوات ايجابية فلسطينية لحياء الفولكلور العربي الفلسطيني امانا في الحفاظ على الشخصية القومية الفلسطينية وحمايتها ، وهذا يكون بجمع هذا التراث قبل ان تنقرض منه العطور والاصول والمعالم بالرجوع الى الكهسول والشيوخ الشاة قبل ان ينقرض جيلهم ، وتسجيل ما يخاف على

ضياعه ، والترويج له ونشره على اكبر مساحة ممكنة من قطاعات الشعب العربي الفلسطيني ، في المهجر ، وفي المخيمات ، وفي معسكرات الفدائيين وبين افراد جيش التحرير الفلسطيني وفي التجمعات الفلسطينية وفي كل قطر عربي ، والتذكير به والتنبيه عليه داخل الوطن المحتل واقامة فرق الفنون الشعبية الفلسطينية ، ومراكز ومعارض الفولكلور، واقامة الندوات ونشر الابحاث والدراسات والكتب المعنية بذلك ، واعطاء الفرصة كاملة للافراد ليصطب ينوع الافراد في الالوان الفولكلورية المختلفة في بحر الشعب العربي الفلسطيني الهادر ، الا وهو الثورة الفلسطينية .

ومن حسن الحظ ان بعض المبادرات الفلسطينية والعربية بشكل عام قد اخلت طريقها الجدي في هذه السبل وان كانت في الحقيقة غير كافية تماما ، وكمثل على ذلك ما قامته مراكز الدراسات الفلسطينية خارج وداخل الوطن المحتل (١) ومراكز الدراسات العربية ومراكز الفولكلور بهذا الصدد ، وفي الاطار العملي لم تحجم حتى الفتيات الفلسطينيات الثقافات ودوات العرق الطيب وكذا الاطفال عن الانخراط في فرق الفنون الشعبية الفلسطينية . فقد لوحظ كظاهرة علموسة ان الرقص في الفرق الشعبية الحديث ليس مكرهها عند الفتيات حتى ضمن اكثر العائلات الفلسطينية تصكا بالتقاليد ، ويرجع سبب ذلك الى جنود الرقص الفردي والرقص الجماعي لدى الفتاة الفلسطينية ، فللراة او البنت ترقص منفردة وترقص رقصا جماعيا ايضا مع اترابها ورفيقاتها كما يرقص الرجل ، واحيانا تحمل الراقصة المنفردة على راسها وهي ترقص جيرة او شمعدانا اعان في اثبات المهارة في الرقص ، والحجرة هي الاكثر شيوعا ، وغالبا ما يكون الرقص المنفرد في الاعراس والافراح ، فيتناوب الرقص الاتراب والرفيقات ، وليس مكرهها الا الرقص الفردي المحترف الذي تمتنه الفواني المعروفات (بالجنائي) وكرهه لدى الشعب يصل الى حد اعتباره عارا ومذلة .

دلالات الفولكلور الفلسطيني عن الشخصية القومية للشعب العربي الفلسطيني

يعبر الفولكلور الفلسطيني عن الشخصية الفلسطينية ، انسانيتها وعروبيتها وثقافتها بالتحرير وانعودة ، وهو مطلب قومي ووثني ، كما يعبر عن امالها واهدافها ضمن ثورة الانسان على الصهيونية الضنصرية والعدوان ، ونحن هنا نسورد بعض النماذج للتدليل على ذلك .

مثل من الرقص الشعبي (الدبكة) :

ترقص الدبكة في المادة على انغام موسيقية كثانم (الشبابية) في الغالب وتصاحب الانغام الموسيقية الحان فثانية هي الحان (دلعونا) في الغالب وينزل الساحة في (الدبكة) من ٥ - ٧ شبان وربما اكثر ، يتقدمهم القائد ويعرف (باللواح) سمي كذلك لانه خلال الرقصة يلوح (بمهرته) اي بمنديله ويستمر في حركته في الاتجاه الدائري مع جماعة الراقصين على انغام الموسيقى والغناء . واذا اعنا النظر في الحركات التي تشملها رقصة الدبكة نجد انها تتالف من خمسة اجزاء رئيسية :

- (١) القفز الى اعلى .
- (٢) دق الارض بالاقدام .
- (٣) التكتاف اي يمسك كل فرد من الراقصين بزمام الاخر .
- (٤) الدوران البطيء او السريع .
- (٥) ابة اصوات او حركات وجديرة مرافقة للرقصة .

اما القفز الى اعلى فجذوره البدائية هي الرمز الى نمو الزرع وارتفاعه ، وارجاع هذه الحركات العلوية الى النمو وارتفاع الزرع انما يعود في الاساس الى انه قد شاع في ديانة الكنعانيين القدماء ، وهم من اجداد شعب فلسطين ، عبادة قوى الطبيعة المنتجة وقوى النمو والانتشار مما يعرف في العادة بين المجتمعات الزراعية ، وكان كبير الهتهم (ايل) (٢) يقسم عند منابع الانهار ، وكان ابن الاله (بعل) يرمز الى الخصب ويمتلي السحاب ، وقد تطور هذا الرمز بالنسبة الى القفز الى اعلى في رقصة العجبة فاصبح يعني علو الشعب وعلو الامة وعلو الوطن .

اما ذق الارض بالاقدام فجذوره البدائية هي محاولة طرد القوى الشريرة وقد تطور هذا الرمز ، فاصبح يشير الى قوة الشعب وقوة الامة ، وهو الآن قد اضمن في التطور فاصبح يعني الثقة بحتمية العودة الى فلسطين وتحريرها من شرور الصهيونية .

والجزء الرئيسي الثالث من الرقصة وهو ان يصك كل فرد من مجموعة الراقصين بزمام الاخر ففيه دلالة على التضامن والتكاتف والمساندة وان يدالله مع الجماعة وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والدوران البطيء او السريع اذ كان يرمز من البداية الى الدورة الزراعية ، والى دوران الفصول والسنين والاشهر والايام والساعات واللحظات ، فانه تطور في دلالاته ليعني استمرار الكفاح من اجل مستقبل الشعب والامة ، فهو ديناميكية وهو مسيرة ، وهو ثورة حتى النصر .

اما اية حركات واصوات وجديده اخرى من الرقصة فهي دينية الجذور وتدرجت لتبقى دينية او اجتماعية او وطنية .

مثل اخر من الرقص الشعبي (صمدة العروسة) :

تخلل النشوة قلوب النساء وهن يرقصن رقصة (صمدة العروسة) اذا سمعن الرجال يشدون على سمع منهن :

يا بدرية يا بدرية حني عليا حني عليا
وعروبتنا بدرية غالية عليكي وغالية عليا

ورقصة (صمدة العروسة) معروفة لدى الفلاحات خاصة في جنوبي فلسطين حيث يقف صف من النساء والفتيات ، وامامه صف اخر منهن ، ويتقدم الصف الاول في اتجاه الصف الثاني بخطى راقصة على ايقاع من الفناء يقول : « فرشوا الحارة ريحاني فرشوا الحارة ريحاني » (لغة من الريحان) واعزموا كل الجيران ، فرشوا الحارة ريحان اخضر واعزموا الزابط (الضابط) مع الصكر (وفي هذا مغزى احترام الفرد او الثغر او الانسان) فرشوا الحارة برايز (جمع بريزة وهي عملة فضية) واعزموا كل العجائز ، ونثر البرايز في طريق العروسين تيمنا وبركة ودعوة العجائز رمز الى احترام الكبار .

مثل من التاريخ :

عمد صلاح الدين الايوبي طيب الله ثراه الى تحمिल الشعب الفلسطيني امانة الحفاظ على الفولكلور القومي منذ ان نم على هدم (عسقلان) ومن دلالة ذلك ما ذكره المعاصرون لصلاح الدين من المؤرخين من انه آمن بان الشعب كان يمكن ان يعيا ويمد اعدادا جهاديا ويتحمل عبء الدفاع عن الوطن بل حتى الهجوم ، وانه لو كان هناك اعتناء بعسقلان بعد فتحها لما تطرق اليها خطر (٣)

ونحن نورد هنا ما تعلق بنتم صلاح الدين لان فيه عنصرا من اسباب الدعوة الى تنظيم الاعداد من اجل القتال وهو احد عوامل القامة المواسم الشعبية في فلسطين اتني يحتفل فيها من الاصل بهدف تجهيز الشباب العربي من خلالها لحرب الاعداد الطويلة الامد ، وهكذا كانت فترة الاعداد للحرب بعد الهزيمة التي ابرمها صلاح الدين مع الصليبيين والتي حملت شعار (واعدوا لهم ما استظتم من قوة) مضرب الامثال ، وقد رافق هذه المواسم الشعبية الوان من الفولكلور التي بقيت محفوظة متوارثة مثل النشيد الديني الذي تطور فيها بعد ذلك الى مفهوم النشيد القومي ، وكذلك الشعر الشعبي ، والافنية الشعبية والموسيقى الدينية والالعاب الشعبية كالمباريات بالسيوف وسباق الخيل وكذلك الرقص الشعبي وغير ذلك (٤)

وفي عهد متأخر بدأنا نسمع اناشيد قومية خالصة في هذه المواسم الشعبية ، وهي وان كانت غير فولكلورية في الاصل الا ان تردادها في المواسم الشعبية وخروجها من حناجر الجماهير يجعلنا نعتبرها فولكلورية ومنها الذي اوله :

ايها العرب الكرام الى متى انتم نيام
قوموا الى الموت انزؤام وامشوا له مشي الاسود

ومنها الذي اوله :

سيروا للامجاد طرا سيروا للحرب
واستعيدوا بالمواضي دولة الصرب

ومنها الذي اوله :

بلاد الصرب اوطانسي من الشام ليفدان
ومن نجد السي يمن الى مصر فتطوان

والتي فيها :

لسان الضاد يجمعنا بقحطان وعذنان

مثل من أشعر الشعبي :

من خصائص الشعر الشعبي الفلسطيني انه باديء الامر مزج بين الاسس القومية العربية والاسس الدينية ثم ابرز الاسس القومية منفصلة بعد ذلك ، ودلت اغراضه على ذلك ، ومنها الفخر والحماسة ومعايشة القضية الفلسطينية ، والتعبير عن قصص البطولة النضالية ، وكتابة الاحداث والمعارك بالشعر (٥) ، كان ذلك بارذا زمن الانتداب البريطاني كقول الشاعر الشعبي نوح ابراهيم من الزجل :

تحيا الامة العربية من اسلام ومسيحية
هبوا يا اهمل الحمية واحموا الوطن واحموا الدين

ومن ذلك ما قاله ايضا نوح ابراهيم في رثاء المجاهد الكبير الشيخ عز الدين القسام :

عز الدين يا خسارتك رحمت فداء لامتك
ميمن بينكر شهامتك يا زعيم المجاهدين

وجاءت ثورة ١٩٦٥ تكرر اسسا راسخة من النضال وتضيء شموعا على الطريق ، قال الشاعر الفولكلوري صلاح العسيني :

دم الشهيد يا نشيد
بيدوي فوق التلال

دم الشهيد

موال فدا

هز الصدا

مسؤال

فوق الجبل وفي كل بيت

بينقال

القمح ما بيدي سبيل

الا ان داب

الا ان نرف دمه

وشاب في التراب

مثل من الغناء الشعبي :

غالبا ما تغنى الحان (دلونا) و (متسعل وزريف الطول) مع
الاهاتيج والقصائد الوطنية ، ومن هنا يستجيب الشعر الشعبي
المطاول لهذه الألحان وتنسج قصص شعبية حول اصول هذه الألحان.

وفي رقصة (السحجة) يقف المغنون الراقصون صفيين مع ضرب
الاقدام على الارض وهي رقصة واغنية بالتداخل ومما يقال فيها :

هبت النار في راس الخروبة يا ابو فلان يا حامي العروبة

هبت النار في راس القطنا يا ابو فلان يا حامي وطننا

وفي (العنابي) مع (الميجينا) (٦) مما سائر الكفاح ضد الانتداب
البريطاني والصهيونية ، ومنه ما تطور ايضا ليساير حالة التشرذ
التي عاشها وعانى منها الشعب العربي في فلسطين بعد نكبة عام
١٩٤٨ والايامن بحتمية الخلاص والتحرير :

عدانا لا تقولوا حنا انهنيانا

انتو الزرع واحنا النجيلينا

نحصدكو على طول السدى

مثل من قراءة ورواية السير الشعبية :

اشهر هذه السير تفرية بني هلال ، الزير سالم ، غنتره بن
شعاد ، فيروز شاه ، حمزة البهلوان ، سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات
الهمة . وقد نسج الفلسطينيون على منوالها قصصا شعبية فلسطينية
مثل سيرة (ابي جلدة والعريط) وهما شخصيتان فلسطينيتان
حقيقتان ظهرت في الثلاثينيات ، كانا قد اعلنا العصيان على سلطة
الانتداب الفاشية في فلسطين ، وتحصنا في المغاور والكهوف فسي
المناطق الجبلية من البلاد ، ومارسا الاغارات المفاجئة بين وقت وآخر
ضد الانجليز والصهاينة كما كانا ينصبان الكمان على الطريق فيقع
فيها الجنود البريطانيون والصهاينة ، وتحدثت عن مفامراتهما
صحف فلسطين اليومية ، مثل : (الدفباع) و (فلسطين)
و (الجامعة الاسلامية) ، و (الجامعة العربية) - تاركة في مخيلات
القراء جوا دراميا رائعا عن مفامرات ابي جلدة والعريط ، ولكن
انتهى امر الثالوين كليهما بعد ان حاصرهما الجيش البريطاني في
نهاية المطاف .

ولقد فلى الادب الشعبي في مناهله المتعددة ومنها منهل السير
الشعبية قرائح شعراء وكتاب الثورة الفلسطينية فولكلوريين ام غير
فولكلوريين ، وممثل على الاثر والتاثير في هذا المجال المقدم
الفولكلورية المهلهلية التي قدمها الشاعر الفلسطيني (خالد ابو
خالد) احد شعراء الثورة المعاصرين لقصيدة لامعة له فيسر
فولكلورية ، والقائمة تطلعت في اعماق قصيدته وبين آياتها ، خالمة

على القصيدة كلها جمالا فنيا يتجاوب مع خلق (جليلة) بنفوذها
(المهلهل) ليصبح صملوكا ، ولترتمي (جليلة) في احضان (الرعيني)
القازي وهو ابن اخت (اتبع حسان) وابن اخت (البسوس) وذلك
بهدف تثبيت (جساس) ملكا على العرب .

ويطبع (خالد ابو خالد) القصة بالخاتم الفلسطيني ، خاتم
الثورة الفلسطينية ، المهلهل قاتل . قاتلهم ، كما قاتل (برجيس
الصليبي) حليفهم وحقق في قتاله الطويل ضدهم مجموعة انتصارات ،
والحق بجساس اكثر من هزيمة ، لكن جساسا لم يمت كما يروي
على يد ابن كليب ، بل ظل حيا يلاحق المهلهل اينما ذهب حتى انه
كلف عبيدين من عبيده باغتياله في غفلة ، وبرغم الجراح الخطيرة التي
اصيب بها المهلهل الا انه نجا من الموت ، لكنه ظل صملوكا مطاردا
من جساس . ويمضي خالد ابو خالد متأثرا ومؤثرا في سيرة المهلهل
فيروي ان ما ورد من داخل وخارج فلسطين يؤكد ان جساسا ما
زال متحالفا مع الغزاة وانه شخصا سيواصل ملاحقة المهلهل
بهدف اغتياله .

وهكذا يبدو الفولكلور موحيا قويا في دائرة الشعر العادي كما
كان في الاصل موحيا في وجدان الشعب في دائرة الفولكلور .
والقصيدة من رائعات خالد ابو خالد ويقول في بدايتها :

توقف ايها الراوي

ومصنعة

فلست اميرها

لكنني الصملوك

من خلته مثل الفرد عاهرة القبيلة

.....

تخاطفوا شرفي

واشلاكي

من اكلوا على الساحات من رثتي

ومن باعوا لبرجيس الصليبي انتصاراتي

نصي

ومراتمي

وتغالوا عني

انا حامي الحمى

.....

الى التسيان خلوني

وباعوني

بلا عينين

(بمرج ابن دسر) كنت سنبلة

واحجارا

وزيتونا

وسلكا شاكنا

طفئلا

وبثرا طافعا بالدم

شيخا

.....

اغير على مواقعهم

واطمح حرتي لحمنا واطفالي

واروي ناقتي من عز (راس العين)

ميداني فسيح

واسع الارجاء

يسبقني رصاص

يسبق الكلمات

شاهدني انا - القسام -

شاهدتني

على السهل الذي يمتد من (بعبد)
والشجمان عند الصبح

هناك وصلت

قاتلنا الرعيني

فاتبرى (الجساس) خلف ظهورنا

يجتاح خابية اليتامى

يخلط الملح بزيت الدار

بالبسطة العتيقة

والعليق

وبالوجوه السمير

تختال البسوس (٧)

وقد استعارت استعمالات وطنية لتصيف هدفا تربويا جديدا الى
اهداف حواديتها في تربية الاطفال ، الا وهو هدف العودة الى
الوطن الحبيب فلسطين يمثل متشخصا في قولها (قطع الشاطر
حسن مسافة ما بين القدس وياها في ابح البصر) ، ولا غرابة ان
تنقل صور هذه الحواديت الى ألوان مختلفة من ادب المقاومة
الفلسطينية .

مثل من الالباس الشعبي الفلسطيني :

في اواخر عهد الانتداب البريطاني وبالنسبة للشوب الحريمي
التلحمي الشعبي (نسبة الى بيت لحم) فان اشكال التطريز قد تطور
تغييرها في الحال الى الواقع الاجتماعي النضالي حيث كانت الارض
الفلسطينية يفلو بركانها بعد اعلان مشروع التقسيم ١٩٤٧ مباشرة
فالزهرة في التطريز استبدلت بالقنبلة ، الورقة الخضراء اصبحت
سكينا ، والحسون خنجرا .

وقبل ذلك وفي ثورة ١٩٣٦ لسي افراد الشعب دون استثناء
الكوفية والعقال ، وكان توحيد الزي يدعو الى وحدة الصفوالى
الالتزام بهذه الوحدة دون اسراف في كبت الحريات .

فلنحرص على جنود الفولكلور

كلمة اخيرة لا بد من قولها : ان الشخصية الفلسطينية باقية
لا تريد لنفسها ان تنقرض فلنحرص على جنود الفولكلور التي تشير
الى هذه الشخصية ، الولد والبنت يتحدثان بلهجتها جيدا ، حتى
لو ولدا خارج فلسطين ، قصة الوطن يفهمتها جيدا ، يقاتلان من
اجلها في البيت ، الاكالات الفلسطينية كما هي ، يزهران باللباس
الوطني ، و (الدوشك) جنبا الى جنب مع (الكنيات) الحديثة ،
اذا زاد عدد المائلات المقاربة عن ثلاث واحكم بينها الجوار وجدت
عدة الشاي وعدة القهوة منصوية في شبه (ديوان) ، الصناعات
الشعبية في مراكزها ما دام هناك فلسطينيون ، او انتقلت مع
البعض الى حيث انتقل البعض ، وعلى سبيل الامثلة ولبس
الحصر تقدم هذه الملاحظات :

(١) بدأت العادات الخاصة بالخيل والفرسان تجبو لابتعاد جبهة
الشعب العربي الفلسطيني بالهجرة عن مراكز الاعتزاز في الوطن
في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، او بالنسبة لعدم توفر هدوء البال للذين
بقوا فيه ، فلم تصد (البروكة) و (الكحيلة) وهي بعض اسماء الفرس
الاصيلة ملازمة للفلسطيني ، وان بقي المثل (كعاب واعتابونواصي)
متوارثا (١٠) .

(٢) واستمرت العادات المختصة بالقهوة السادة في التجمعات
فقط لا سيما عند البدو حيث لا زالت (الحماسة) و (الملقط)
و (البكرج) و (الفناجين البداوي) متوارثة ، ولكن هذه العادات
خبت لدى الاسر البعثرة خارج دائرة التجمعات الفلسطينية .

(٣) وفي قرى الوطن المحتل بقيت الاسواق الشعبية وتقاليدها
متوارثة تشكل ركنا من اركان الاقتصاد الوطني المحدود والمحاصر من
العدو الصهيوني وتنقل ما وسعها ان تنقل من معالم الفولكلور
الفلسطيني وتبقى على ما شاء لها ان تبقى من هذه العالم .

(٤) وخفت حدة العادات المرتبطة بالقتل والاخذ بالثار لدى
الفلسطينيين لتسكهم بمبادئ الثورة الفلسطينية بالرغم من ان
العدو الصهيوني وحلفاءه شجصوا الابقاء على مثل هذه العادات .
(٥) وربما كانت عادات التحزية من اكثر العادات الفلسطينية
مدعاة الى عدم الضمور حتى في الاقطار المضيئة التي تضم اعدادا

وتقلب سيرة اخرى من السير الشعبية كنموذج ما دمنا نعترف
بان السير الشعبية هي قاسم مشترك فولكلوري متداول لدى الامة
العربية جمعاء ومنها شعب فلسطين في اطار الفولكلور القومي.
سيرة عنتره بن شداد - على سبيل المثال وهي تحكي احداثا وقعت
في الجزيرة العربية وما يتأخها . ومن انطيم ان تكون فلسطين هي
واحدة من المواضع المناخه ، وهي قصه الحريم ونسر العبودية متمتلا
ذلك بقول عنتره :

وما اسمو بلون الجلد يوما ولكن بالشجامة والكلام

ومن ارتباط سيرة عنتره بفلسطين موقف الفارس عنتره من
الفارس الفلسطيني (مقرى الوحش) وتقول السيرة ان عنتره اسر
(مقرى الوحش) على حدود الشام ابي في صحراء النقب الجنوبية
المتاخمة للعقبه ، واصبح مقرى الوحش عتيق سيف عنتره ولكنسه
اصبح صديقا له بعد ذلك وحليفا له في غزواته ، وعندما مات
مقرى الوحش رعى عنتره ابنه وترك له مخصص ابيه .

وفي وقت متأخر طور الفلسطيني من روح سيرة عنتره ، الثورة
الفلسطينية تطلعت بجنود الحرية وعاشت معها ، والشاعر الفلسطيني
عندما نار ضد الاستعمار والصهيونية طور من جنود عنتره الحب
والحرب اذ مزج بين دفاعه عن ارضه ووطنه ودفاعه عن حبيبته ،
يقول محمود درويش :

اذا خسرت الصديق فقدت طعم السنابل
وان فسدت العتيقة ضيعت عطر الجداول
وضاع حلم الحقيقة

عن السورود اذافسح سوف الى شفيك
ومن تسراب الشوارع خوفا على قديمك
وعن دفاعي اذافسح

وفي مرحلة اكثر تطورا فان الشاعر الفلسطيني يجد رفيقته
معه تشاركه الكفاح المسلح (٨) .

مثل من الحكاية الشعبية الفلسطينية :

ان محصلة الارث الفلسطيني الخاص بالحكاية الشعبية
الفلسطينية هو على جانب كبير من الخصب والوفرة والتداول ، حتى
بعد نكبة ١٩٤٨ فلا تزال الجدة العجوز تروي (حواديتها) الخاصة
بالارض والوطن ، لان هذه الحواديت تحمل ميدانا مباشرا لا يقل عمره
عن مئات السنين كما تحمل ميراثا غير مباشر يعود الى آلاف
السنين . . انها لا تزال تردد (الله يعيدنا الى بلادنا سالمين) (٩) ،

قليلة من الفلسطينيين لما جبل عليه الشعب العربي الفلسطيني من حب التماسك والاعلان عنه .

(٦) ولكن بعكس ذلك العادات المرتبطة بالاحتفالات والاهتمامات الدينية الموسمية لان الاحتفال نفسه مرتبط بالبيئة الفلسطينية داخل الوطن وهذا شبه مفقود في المهاجر وان كان متوفرا داخل الوطن المحتل ، فنحن لن نسمع لحنا فلسطينيا في المهاجر يحتفل بسفر الحجاج الى مكة المكرمة مثل :

حجاج بيت الله
حجاج الله اعطاهم
حجاج طبخوا ونفخوا
حجاج عمروا وفرشوا
حجاج الله اعطاهم (١١)

او :

حجوا ونالوا مناهم
ويا سمدهم ويا هنامهم (١٢)

وان كنا نسمعه في الاراضي المحتلة . اما تكريس الاحتفال بالواسم الشعبية داخل الوطن المحتل فقد اختفى تماما نظرا لاحتلال العدو الصهيوني لمركزها وحصار هذه المراكز بعيدا عن موطنه قدم عرب الوطن المحتل .

(٧) وبالنسبة لعادات افتناء أدوات البيت والحلى الشعبية فانها ماضية الى الزوال بحكم تطور هذه الأدوات وجنوحها نحو التغيير ونظرة النشره الجديد الى الاثاث الحديث والحلى باشكالها المتطورة ، غير ان الفلاح الفلسطيني داخل الوطن المحتل ، خاصة في المناطق الجبلية من الضفة الغربية لنهر الاردن ، لا يزال يعتز بها ، وهو يستعمل ويقتني اغلبها ، ولا بد من القول على اية حال ان الشاب الفلسطيني الذي لم يستعمل أدوات البيت الشعبية يقترب من تراثه كثيرا بوجدانه واحاسيسه اذا رأى في اي معرض فلسطيني يقام نماذج من : السلطانية ، والباطية ، والمفرزة الخشب ، والبقاليل ، والطبلية ، والصاج ، والقدر ، والقفة ، واللجن ، والانجري ، والطوس ، والطابون ، والجاروشة .

كما ان البنت تطرب وتغنى برؤية نماذج حب اللبنة والماشالله ، والكردان ، والخلخال وما اليها .

(٨) ولا بد ان نقف وقفة خاصة عند العادات الخاصة بالاكل ، لان هذه العادات ربما تنفرد بانها اكثر العادات ملازمة للعائلة الفلسطينية داخل وخارج الوطن المحتل ، فالأكلة الفلسطينية ، اسمها ، وتركيبها ، وكل تفاصيلها بقيت متوارثة تنقلها البنت عن امها والام عن الجدة وهكذا دون تعديل او تغيير في اية بقعة من العالم يتواجد فيها فلسطينيون ، ما دامت الظروف تساعد على ذلك .

(٩) ومع ان كثيرا من تفصيلات عادات الزواج قد تقلصت نسبيا في المهاجر مثل (الحنا) واحتفالها ، والاحتفال الشعبي بليلة العرس ، فان هذه التفصيلات بقيت في الوطن المحتل وبقي في ارض الوطن وخارجه الكثير من تقاليد فلسطين الخاصة بالهجر والشبكة والهدايا والسوق (الموفدون لخطبة العروس) على اعتبار ان البنت الفلسطينية تعتبر نفسها وبعترها اهلها وريته شعب ذي تقاليد لا بد من التمسك بها والاعلان عنها .

(١٠) وبالنسبة للطب الشعبي فهو في المهاجر يؤول الى الثلاثي ولكنه يعمل به في الوطن المحتل ، وقد قال بعض الاخوة ان اسماء الادوية الشعبية في بعض الاقطار يختلف مدلول بعضها عما هو في

فلسطين وقد احدث هذا بعض الالتباسات في استخدام الطب الشعبي كما ان بعض الاعشاب المستعملة في هذا الطب ليست بالضرورة متوفرة في كل مخيم حشد فيه الفلسطينيون ، وحتى في كل قرية او بلدة اقاموا فيها كلاجئين في الاقطار التي اوتهم ، وكمثل على ذلك يقول بعض الاخوة انه عندما طلب (البابونج) من (البطار) اعطاه (الشيخ) ولكنه عندما طلب (زهرة البابونج) فيما بعسد اعطاه (البابونج) المطلوب .

(١١) هذا بالنسبة الى دائرة العادات ، اما فيما يتعلق بدائرة الفولكلور المرتبط بالاعتقادات فان بقاءه لدى جبهة الشعب دليل على اصالة الفولكلور الفلسطيني ذاته ، فالفلسطيني حتى في امريكا يتمسك بعاداته ومعفديه حتى بتلك المرتبطة بالزمن ، والاحلام ويهتم بالاساطير الفلسطينية وامثولاتها كما هي في القدس وبيت لحم والناصرة والخليل وغيرها ، وحتى ما تنقله انجدة والجد من متعلقات السحر كما يفهمه الشعب . فهو ان رفت عينه اليمين تفاعل خيرا ، وان رفت عينه الشمال اوحى له ذلك بحضور غائب من سفر ، واذا حكته راحة يده اليمنى تنبأ بتسليم عاجل على ضيف او قادم من سفر ، فان كانت الحكمة في يده الشمال انبأه بقضى مال في وقت قريب ، وهو يفسر احلامه فلسطينيا ، وهو يربط الطقس والخير والشر بامثولات الزمن ، كما انه يتحرى اساطير الخلسق والتكوين والخوارق فلسطينيا ، ويقف عند المقدسات اذا حج اليها بعين بصيرة ولا يرى غرابة في ان تتحسس امه او زوجته راسه المصدوع وهي تقرأ قراءات دينية .

مطالوعة الفولكلور لفلسفة التريبة للشعب العربي الفلسطيني

ونحن اذا اخذنا في الاعتبار ان الفولكلور يدعم الشخصية القومية للشعب الفلسطيني فان هذا يتطور بوضوح تام في مطالوعة الفولكلور لفلسفة التريبة للشعب الفلسطيني الثائر ، وتقوم هذه الفلسفة كما يقوم الفولكلور نفسه على ان الانسان جزء من الشعب الذي ينتمي اليه ، وترتكز هذه الفلسفة ايضا كما يتركز الفولكلور على الروح الجماعية والاعتماد عليها والكفاح من اجلها ، وحب الشعب والثقة به ، وحب الوطن والثورة والثقة بالنصر ، ومن خلال اغاني العمل والعمال وانشيد الكفاح المسلح الشعبية من اجل تعاليم الثورة وهذا مطلب قومي ، كما يستخر الفولكلور في غرس المبادئ والقيم الوطنية والثورية والتحرر من العصبية والقيم الفردية والقيم التقليدية السلبية .

وفي العودة الى تراثنا الاصيل من منابع الشعب ومناهله نكرس روح التفاؤل الثوري وروح حب المستقبل في النفوس في ظل مجتمع عربي فلسطيني يابى بانعه وكبرياء مدافعة على نفسه ان يتدنس او يطويه الزمن ، كما نكرس ونفوس الجراة وروح التحدي في اطار العمل الجماعي والثقة في مواجهة المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات وتنمية القدرة على مجابهة التحدي بمختلف اشكاله ومستوياته .

واذا اضفنا الى هذا ان العودة الى تراث الشعب يصزز الارتباط العضوي بالارض والوطن في النشره الذي لم يشع في فلسطين ولم يرها ، فان ذلك يعمل على الهاب الخيال في تصورنا وحبها والحنين اليها وان ذلك يعمل على ابراز الهوية النضالية للثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية ، وارتباط الشعب الفلسطيني بالمجتمع العربي والنضال العربي تاريخا وحاضرا ومستقبلا كما يساعد ذلك على تنمية القدرات والاتجاهات والمهارات اللازمة لتحقيق التمسك الشعبية .

مركز عربي للمأثورات الشعبية

- تنمة المنشور على الصفحة - ٥٣ -

الفولكلور وأثره في المحافظة . .

- تنمة المنشور على الصفحة - ٥٩ -

لهذا كله يضع المخططون التربويون الفلسطينيون نصب أعينهم مبدأ رئيسيا لا حيدة عنه كلما خططوا وكلما اعمقوا في الاهتمام بتربية اجيال فلسطين الجديدة انحرده الا وهو الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني (١٣) والعربي وتطور مختلف أوجهه وتنمية المواهب عند النشء والافادة منها في التنمية والاعلام .

الهوامش

- ١ - في داخل الوطن المحتل نذكر (جمعية انعاش الاسرة) في مدينة رام الله التي تصدر مجلة (الاسرة والمجتمع) وهي مجلة فولكلورية فلسطينية وفي خارج الوطن المحتل نذكر على سبيل الامثلة مركز الابحاث في بيروت التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونواة مركز فولكلوري ، وكذلك المركز الفولكلوري العراقي ببغداد الذي القى على عاتقه الاهتمام بفولكلور العرب .
- ٢ - الشرق الخالد تأليف عبدالحميد زايد ص ٢٨٦
- ٣ - الفتح المقدسي - عماد الدين الاصفهاني طبعة ١٣٨١ القاهرة ص ٢٨١ .
- ٤ - مزيد من التفاصيل في كتاب (اوراق فلسطينية) معد للطبع بقلم كاتب هذه الدراسة .
- ٥ - مزيد من التفاصيل في مقال بعنوان : خمسون سنة من المقاومة في الفولكلور الفلسطيني - نمر سرحان مجلة شؤون فلسطينية عدد ١٨ ص ١٢٥ - ١٤٩ .
- ٦ - الوان من الاغاني الشعبية الفلسطينية - اسامة ناجي يوسف ، مجلة التراث الشعبي العراقية عدد ٢ ، ٣ سنة ٦ سنة ١٩٧٥ .
- ٧ - للاطلاع على القصيدة كلها انظر مجلة (فلسطين الثورة) العدد ٨ السنة الاولى الصادر في ١٦ - ٨ - ١٩٧٢ الصفحة : ١٨ .
- ٨ - مزيد من التفاصيل في كتاب (اوراق فلسطينية) معد للطبع بقلم كاتب هذه الدراسة .
- ٩ - الحكاية الشعبية الفلسطينية ، نمر سرحان - المقدمة ، مجتمع القصص في فلسطين - الساريسي ، مجلة التراث الشعبي العراقية عدد ٢ السنة الخامسة .
- ١٠ - تاريخ بشر السبع وقيائلها، عارف العارف عن الفروسية ص ١٢٢ .
- ١١ - اوراق فلسطينية .
- ١٢ - قرية ترسميا « دراسة المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني » مركز الابحاث الفلسطيني الفصل العشرون ص ٢٣٣ .
- ١٣ - فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني ، اعداد قسم التخطيط التربوي التابع لمركز التخطيط لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٢ ص ٩ .

او تلخص نشاطه الميداني وتورد وتتابع كشوفه ومقتنياته ، وتعرض الدراسات والابحاث التي يقوم بها الخبراء والمتخصصون في المأثورات الشعبية العربية . وتبادل هذه الدورية مع ما تصدره المراكز الاخرى في العالم سيمنح الدارسين العرب واجيال المدربين مجالا افسح للدراسة والموازنة ، ومعرفة ادق لطبيعة المأثور الشعبي من ناحية ولقيمة التراث العربي من ناحية اخرى .

ب - اصدار كتب ونشرات ومجموعات صور ومدونات موسيقى ورقص وتبادلها ايضا مع الهيئات المتخصصة في الوطن العربي والعالم، ولهذه المطبوعات، فوق قيمتها العلمية والفنية ، تأثير اقوى في التعريف الحضاري بالشعب العربي ، ذلك لانها تعتمد على الوثيقة والنموذج ، والدراسة الايجابية ، وهو الاتجاه الذي تأخذ به دول اخرى عرفت مكانة المأثور الشعبي واستغلته لا في البيئات العلمية والفنية فحسب ، ولكن في مجالات السياحة والاقتصاد ايضا .

واذا استجاب هذا الجيل لحاجة الحياة الى رعاية الفنون الشعبية العربية وانشأ المركز التجريبي الخاص بهذه المأثورات ، فانه يكون بذلك ، قد اضاف الى علوم الآثار ، وما ادت اليه في الكشف عن الاصول الحضارية لامة العرب دعامة عظيمة تمنح الملامح الحية والوانق الاصيل للدراسات الانسانية والقومية .

القاهرة

مكتبة الفوري

دمشق - تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى
دور النشر اللبنانية والعربية في
القطر السوري .